

## كلمة حق .. (نداء نصير)

"فضحت" قضية المدارس الأهلية عقلية غير متقاطبة على الإطلاق بين طرفين اثنين في مجتمعنا.. منهم من يناشد الداخل والخارج بإلحاح من أجل فتح المدارس والاستجابة لطلبات إدارتها.. ومنهم من يدّعي أن على هذه المدارس أن تغلق أصلاً منذ زمن.. لأنها- على حد ما كتب البعض- وليدة الاستعمار.. أدوات الاستعمار.. هي أصلاً مدارس كنسية فما شأننا نحن، أو في إدعاء آخر- لهم بابا الفاتيكان ليهتمّ بأمورهم.. أو أنها ربّت طلاباً على العلمانية.. فلا حاجة لها في مجتمع ينزلق نحو الاسلمة وإقصاء الآخر.. مع بداية القرن ال-19 وقبلها، تأسست ثلاثة أنواع من المدارس في فلسطين:

الأولى: المدارس الحكومية العثمانية- والتي اشترطت تعيين مدير عثماني استعلائي.. يؤمن بسياسة التتريك، واحتقرت تلك المدارس اللغة العربية، وكان يفرض على طلابها تحية علم الباب العالي وإلقاء نشيد السلطان.

الثانية: مدارس مسيحية فرنسية وانجليزية- وهي بالتالي كانت تعين مديراً أجنبياً، لم تحترم اللغة العربية، وكانت تفرض على طلابها التحدث بالفرنسية أو الانجليزية حتى في الفسحة- الفرصة القصيرة.

الثالثة: وهي المدارس الروسية، والتي بجلّت اللغة العربية وتاريخ العرب.. فأثرت تعيين مدير عربي ومعلمين عرب مسيحيين ومسلمين، وجعلت للغة العربية المكانة الأولى. ومن روادها الأديب ميخائيل نعيمة، مي زيادة، حنا أبو حنا وغيرهم كثر..

أما الثانية- بعد التحرر من الاستعمار البغيض.. استطاعت هذه المدارس أن تؤسس لنفسها إدارات مستقلة، آمنت بقدرات طلابها، وأعدت للغة العربية مكانتها المرموقة، وربّت طلابها على محبة الآخر كمحبة النفس، وفتحت أبوابها لكافة شرائح المجتمع العربي الفلسطيني دون تمييز أو استثناء.. وقدمت ما قدمته على مدار عقود من معرفة وعلم ومحبة وثقافة وحب الوطن. وأفسحت المجال لمعلميها أن يكونوا مستقلين في عملهم.. فأعطوا من أفكارهم وآرائهم النيرة..

لا أذكر إلا في مدرستي الأهلية التي تتلمذت بها منذ نعومة أظفاري، وغيرها من المدارس الأهلية في مدينتي، حين اندلعت الانتفاضة الأولى، فكنا وكانوا من المدارس الأخرى الشعلة التي خرجت إلى الشوارع وأعلنت الإضراب والحداد.. وشاركنا في كل مناسبة وطنية..

لا أذكر إلا في مدرستي الأهلية التي تتلمذت بها.. معلمين أكفأ علمونا عن فلسطين وشرحوا لنا مساحتها ومداها وهواها.. ولا أذكر إلا مدرستي أستاذ التاريخ الذي أبعد كتاب التاريخ وعلّمنا ما يجب أن نتعلم..

وما زلت على هذا الحال إلى يومنا هذا- أرى بأمّ عيني ما تقوم به مربيّات ومعلمات في المدارس الأهلية، من تفان وإخلاص في العمل بالرغم من شحّ الميزانيات وانعدام "أفق جديد" - أي انعدام توفر ساعات فردانية لمساعدة طلاب.. وهذا ما اسمعه من أهالي أتوا من عدة بلدات.. يريدون أن يتربى أبنائهم في مدارس مسيحية لأنها على حد قولهم- غير.. غير هذه تعني الكثير- تعني انفتاح تعني تقبل الآخر تعني تنوّر تعني انتماء تعني كل ما تعنيه..

ليست مدارسنا مدارس استعمار.. وليست مدارسنا "لها بابا يهتم بها"- وإن يكن- فهو أشرف بكثير من عقول السلاطين أصحاب الأيدي الملوّخة بالدماء.. إن مدارسنا مدارس عربية حقّة مدارس تقدّس اللغة العربية وترفع من شأنها.. تنمّي الفكر القويم وتربي على تنشئة جيل واع مفكر محب لغيره ولمجتمعه..

أما المدارس الأولى- فقد طواها الزمان وغارت إلى اللا- عودة.. إلى زمن السلاطين الذي وللأسف الشديد نسبة كبيرة من أبناء مجتمعنا ما زالوا يحنون إلى زمانهم- إلى زمن التتريك وإلغاء اللغة العربية واستعباد الناس..